Journal of the Iraqia University (20) November (2023)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

النظام التربوي الإسلامي ودوره في بناء مجتمع صالح

أ.م.د. محمد سعيد عبد الدليمي

م.د. بلال فرج بديوي الدليمي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بذاته الأقدس, الحمد لله الذي جعل من سنتة المصطفى صلى الله عليه وسلم منهجاً للمؤمنين, والصلاة على سيدنا محمد خاتم رسله الأمين؛ رسوله وحبيبه وخليله الهادي إلى صراط مستقيم وعلى آله وصحبه وسائرين على منهجه إلى يوم الدين.وبعد.إن ديننا الإسلامي الحنيف قدم بناءً تربويًا متكاملًا للبشرية –يحقق لهم السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة ورضوان الله في الآخرة– منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا. ويتسم البناء التربوي الإسلامي بخاصية فريدة تميزه عن كافة النظريات الوضعية وهي أن مصدره كتاب الله وسنة نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ - ٤، وهذا المصدر الإلهي للبناء التربوي الإسلامي هو الذي يؤكد صدقه وثباته المطلق، وفائدته العظمى للإنسان في الدنيا والآخرة معًا. وينبثق النظام التربوي في الإسلام من النظام التفسيري والرؤية الصادقة للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والإنسان، فالله هو الخالق وهو سبحانه المنظم ومبدع الإنسان وخالقه بنوازعه وجوهرة، ومنزل الشريعة المناسبة له والقادرة على تنظيم شئونه، وعلى تحقيق التوازن أو التعادلية المعجزة لحاجاته الجسدية المادية والروحية والعقلية, وينطلق النظام الإسلامي في التربية من الفهم الصادق لحقيقة الإنسان والهدف من خلقه وأساليب تحقيق أهدافه ومصيره في الآخرة، وهي مقدمات لا بد منها حتى يستوي النظام التربوي غاية ووسيلة، ويحقق أهدافه.وعلى هذا فقد ارتأيت أن اكتب في هذا الموضوع, الذي جاء بعنوان (النظام التربوي الإسلامي لبناء المجتمع صالح), وأما عن خطة البحث, فقد اشتملت على مقدمة ومبحثين, ثم تليها خاتمة:المبحث الأول: جاء بعنوان أهم الأسس العامة التي تقوم عليها التربية الإسلامية.المبحث الثاني: أهداف التربية الإسلامية وميادينها.ثمّ جاءت الخاتمة وقد ذكرت أهم ما جاء في البحث, وبعدها ذكرت قائمة المصادر والمراجع وقد رتبتها على حسب الحروف الهجائية.والله تعالى اسأل أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم, وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون؛ إلا من أتى الله بقلب سليم, والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: أهمية الأسرة في بناء المجتمع المسلم.

من الملحوظ أننا نجد بأن الإسلام يهتم بشكل كبير ببناء الأسرة من خلال تكوينها والنظم المؤدية إليها، كالخطبة والزواج والعلاقات الأسرية وبيان حقوق الأبناء، وحقوق كل من الزوج والزوجة، وذلك لأن الأسرة السوية الصحية هي أساس الحياة الاجتماعية السوية، وهي أساس المجتمع المتكامل.

المطلب الأول: أسس بناء الأسرة في الإسلام.

إن علاقة الزوجين علاقة سكنٍ ومودة ورحمة، وهو أساس لإنجاب الذرية وهي العملية الاجتماعية التي تتكون منها الأسرة وتتفرع عنها غصون الإنسانية– شعوبًا وقبائلَ– تتعارف وتتعاون، وتكون منها الأمة الفاضلة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتحقق للإنسان معنى الخلافة التي خلق من أجلها. وهناك مجموعة من الأسس البنائية التي تقوم عليها الأسرة الإسلامية، تضمن لها القوة والاستمرار والعلاقات الطيبة والوقاية من التفكك أوجزها فيما يلي:

أولاً: التعرف أو التعارف: فالإسلام يدعو بأن يتعرف كل من الرجل والفتاة على بعضهما البعض بحيث لا يترك الأمر للمصادفة العمياء, ولكن ضمن الضوابط والشروط التي وضعها لهما الدين الإسلامي, وأن يكون معيار الاختيار هو الدين والخلق، لقوله النبي ﷺ: ((تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ))[1], ولكن نجد أن النبي ﷺ يحذر من الركون إلى معايير الجمال أو الحسب أو المال وحدها في هذه الناحية فيقول: ((مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لِعِزِّهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا ذُلًّا، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِمَالِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا فَقْرًا، وَمَنْ تَزَوَّجَهَا لِحَسَبِهَا

لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا دَنَاءَةً، وَمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةً لَمْ يَتَزَوَّجْهَا إِلَّا لِيَغُضَّ بَصَرَهُ أَوْ لِيُحْصِنَ فَرْجَهُ، أَوْ يَصِلَ رَحِمَهُ بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا، وَبَارَكَ لَهَا فِيهِ)) [2], وهذا لا يعني إهمال بقية المعايير كالجمال أو الحسب؛ لكنها يجب أن تكون في مرتبة تالية بعد الدين والخلق.

ثانياً: الرضا الكامل الذاتي ويكون بين الطرفين دون ضغط أو إكراه: إن الشريعة الإسلامية لم تكتف بالتعرف والاختبار المسبق، ولكنها أوجبت ضرورة الموافقة الصريحة من جانب الرجل والمرأة على الزواج، وجعلت الأمر شورى بين الفتاة وولي أمرها، حيث استوجبت من الولي أخذ رأي المخطوبة في زوجها المستقبل المرشح مع أخذ رأي أمها لأنها على دراية بأحوالها, قال عليه الصلاة والسلام: ((أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَزَوَّجَتْ بِغَيْرِ وَلِيٍّ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا، وَإِنِ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ)) [3].

ثالثاً: الكفاءة:وهي من أهم الشروط في بناء الاسرة واستمرارها, وذلك ضمانًا لحسن التوافق بين الزوجين وحسن العشرة, وإمكان التفاهم, وبناء العلاقة الزوجية على اكمل وجه، فقد حرصت الشريعة الإسلامية على أن يكون الزوج كفئًا للزوجة في كل القيم التي يعتز بها الناس في حياتهم، خاصة بالنسبة للمكانة الاجتماعية والاقتصادية,فإن الكفاءة عنصرمهم لاستمرار الحياة الأسرية في ضوء قوامة الرجل،وذلك لأن انخفاض المكانة الاجتماعية والاقتصادية للزوج بالمقارنة بالزوجة يضعف مكانته كرب للأسرة وقد تهز من قوامته وتكون سبباً في تفكك العلاقة بينهما فيما بعد[4].

المطلب الثاني: أسس العلاقات الاجتماعية للأسرة.

إن من الواجب على الأسرة أن تتحلى بأمور وأسس لبناء مجتمع صالح وهو تنظيم العلاقات الاجتماعية فيما بينها, وذلك وفق المنهج الإسلامي الذي يدعو إليه, ويمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

أولاً: العدل واجتناب الظلم, وذلك من قبل أولياء الأمور وضرورة التزامهم بالتواضع والخلق الإسلامي, إذ يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[5].

ثانياً: طاعة أولياء الأمور في غير معصية, قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[6], وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)) [7].

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وهو واجب على الناس التناصح فيما بينهم وترشيد بعضهم بعضًا بما يتفق مع الشريعة الإسلامية حتى يستقيم الناس في أجسادهم ونفوسهم وعقولهم وعلاقاتهم بشتى صورها وأنواعها، بينهم وبين بعضهم, لقوله تعالى:﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [8].

رابعاً: التخلق بالأخلاق الإسلامية: وهي التي تقتضي من المسلم الإخلاص لله تعالى والتوبة المستمرة والاستغفار والصبر والصدق ومراقبة ربه في كل أعماله وعلاقاته, واليقين بالله والتوكل عليه والاستقامة, وبر الوالدين، وصلة الأرحام وستر عورات المسلمين، والبعد عن البخل والشح، والتواضع، وخفض الجناح وعدم التكبر، وحسن الخلق والحلم والأناة، والرفق والعفو، وحفظ السر والوفاء بالعهد... وغيرها[9]وعلى هذا فإن مجتمعًا هذه سمات أبنائه لا بد أن يكون أفضل مجتمع يحقق التكامل والتعاون، ويخلو من المشكلات الاجتماعية والانحرافات بشتى أنواعها, لأن أشكال الانحراف التي نشاهدها في مجتمعاتنا المعاصرة لا ترجع إلى الأفراد كأفراد، وإنما ترجع إلى طبيعة الثقافة السائدة.

المطلب الثالث: أهداف التربية الإسلامية.

إن التربية الإسلامية تبدأ بتهذيب الفرد ضمانًا للمجتمع الصالح، كما أنها تبدأ في تحقيق مصالح الناس في الدنيا والفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، ولا بد من الإشارة إلى أهم أهداف التربية الإسلامية وذكرها بإيجاز فيما يلي:

أولاً: الحفاظ على الفطرة وتنميتها من خلال تعريف الإنسان بخالقه، وبناء العلاقة بينهما على أساس ألوهية الخالق وعبودية المخلوق, إذ قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾[10].

ثانياً: لا بد من تطوير سلوك الفرد وبنائه, أو تغيير اتجاهاته اللفظية والعملية السلوكية؛ بحيث أنها تتطابق مع السلوك والاتجاهات الإسلامية, قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾[11].

ثالثاً: القيام بإعداد كامل لمواجهة متطلبات حياته في هذه الدنيا, وهو ما يطلق عليه اليوم الإعداد المهني للحياة, قال جل جلاله في كتابه المجيد: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴾ [12].

رابعاً: القيام ببناء مجتمع إسلامي صالح الذي يقوم نظامه على أساس شريعة الإسلام استنادًا إلى كتاب الله عزوجل والسنة النبوية المطهرة، تحقيقاً لما جاء في كتاب الله العزيز, إذ يقول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [13].

خامسًا: يحتاج إلى تظافر الجهود لإعداد ثلة من المسلمين؛ وذلك لحمل الرسالة الإسلامية ونشرها في العالم كله حتى ينتشر الحق وتعلو كلمة الله في الأرض، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[14] , وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[15].

سادسًا: العمل على غرس مبادئ القيم الإيمانية والإسلامية في نفوس الشباب, والمجتمع كله, للخروج بمجتمع صالح حتى يقوم بمهامه على أكمل وجه, مثل أن نزرع فيهم مراقبة الله والخوف منه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾[16] ، والصدق والصبر, قال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[17] , وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [18] , والتوكل على الله تعالى وغيرها الكثير من الأموروعلى هذا فإننا نرى أن أهداف التربية الإسلامية تحقق التكامل بين الأهداف الدينية والدنيوية, كما تحقق التفاعل واللقاء الدائم بين الإنسان وخالقه، وبين القلب والعقل، وبين الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني: التربية الإسلامية ودورها في بناء مجتمع صالح.

إن الأسرة المسلمة قد أحيطت في هذا العصر من كل جانب بثقافات مضادة وحضارات مناوئة واعداء كثر, وجملة هائلة من التناقضات, وكل ذلك يغرقها في بحر عميق ومتلاطم الأمواج, فالمسلم اصبح محاط فكرياً بما يغريه ويخدعه؛ من باطل زائف مبهرج, وتسميات براقة وشعارات كاذبة ليس تحتها إلا أفاعي مسمومة, وإنه محاط بكثير ما يصرفه عن دينه ومنهجه, ليصبح لقمة سائغة وسهلة في أفواه أعدائه.

المطلب الأول: التربية الإيمانية.

إن التربية الإيمانية تعني بتربية الفرد على الإيمان بالله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره، والبعث والحساب، والجن, وسائر الغيبيات التي أوردها الله في كتابه الكريم, وتعليمه تعاليم الإسلام من عقيدة، وعبادات، وأخلاق، وتشريع، وأحكام, فكان من الواجب علينا القيام بتربيتهم على هذه المفاهيم من التربية الإيمانية، وعلى هذه الأسس من التعاليم الإسلامية، حتى يرتبط بالإسلام عقيدة وعبادة ويتصل به منهاجاً ونظاماً، فلا يعتقد بعد هذا التوجيه والتربية سوى الإسلام دينا، وسوى القرآن هاديا، وسوى الرسول – صلى الله عليه وسلم – قائدا وقدوة[19] فإن الإيمان هو (أساس إصلاح الفرد، وملاك تربيته في جميع جوانب التربية الأخرى الخلقية والنفسية والاجتماعية, ولذلك فإن التربية الإيمانية هي منبع الفضائل، ومبعث الكمالات؛ بل هي الركيزة الأساسية لدخول الفرد في حظيرة الإيمان، وقنطرة الإسلام وبدون هذه التربية لا ينهض الفرد بمسئولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يعمل لمثل أعلى ولا هدف نبيل) [20]وإنَّ الأساس في التربية الإيمانية هو (أن يكون بين الإنسان وربه إيصال دائم لا ينقطع، فالعبادة بجميع أنواعها وشتى صورها تشعر المؤمن أنه موصول بالله –سبحانه وتعالى– يستمد منه الهداية والعون، يدعو فيجيب الله دعاءه، وبالتالي فقد انعقدت بين الله وبين قلب هذا الطفل صلة لا تنقطع في النهار أو الليل، ولا تنقطع في عمل أو شعور أو فكر أو قول, إذا أردنا أن تظهر الفضائل الإنسانية الحقيقية في قلوب أطفالنا، فلنربيهم على قاعدة تربوية يكون أساسها الارتباط الواقعي والصلة الدائمة بينهم وبين خالقهم) [21]فالإيمان يربي الفرد من داخله ويمنحه الاستقرار النفسي، والانضباط السلوكي، فيعصمه من الزلات والأهواء وينجيه من المهلكات، فالإيمان يرتقي سلوكيا بالمؤمن وبه يستحق ما خص به من تكريم.ولذلك يمكن القول بأن التربية الإيمانية هي الارتقاء بالأحوال الإيمانية للمسلم وللشباب على وجه الخصوص وتغذية شجرة الإيمان في قلوبهم, لأننا اليوم في واقع الجيل يدعونا إلى إعطاء الجانب الإيماني مزيداً من الرعاية والعناية.

المطلب الثاني: التربية الخلقية لدى الشباب.

إن الشباب الأمة يمثل من حيث الكم ٦٠٪ من مجموع الأمة تقريباً, ومن حيث الكيف يمثل قلب الأمة النابض وقوتها الدافعة ودرعها الواقي, فهم بُدورها إذا أظلم ليلُها، وهم سيوفُها إذا جَلَّ خطبها, وهم كنزها المدخر، ورصيدها المعتب, ومستودع آمالها، وموضع ثقتها ورجائها وإذا نظرنا بعين الحقيقة إلى فترة الشباب، وجدتها فترة التأثير والتأثر، والعطاء والبذل، لأننا ونحن نعد الشباب نستثمر مواهبه، ونفجر طاقاته ونستغلها في البناء والتعمير، ودفع العدو المغير، هي فترة الحاجة الماسة إلى التوجيه والترشيد والتبصير والعناية والرعاية.. هي فترة وضع حجر الأساس، وكلما كان الأساس متينا كان البناء قويا شامخ الذرى، وكلما كان الأساس ضعيفا كان البناء هشًا سرعان ما يتحطم وينهار عند أول هبة ريح

أو رشة مطر, مرحلة لها أثرها الخطير في المستقبل: سلبا أو إيجابا. صلاحا أو فسادا، سموا أو هبوطاً[22] ثم إن السر في إقبالنا على الشباب، وعنايتنا به ورعايتنا له حتى يمضى إلى غايته الكبرى وهدفه الأسمى مصونا من الانحراف الفكري والتدهور الخلقي والضعف العقلي, (فإذا أردنا أن نعرف ماهية الأمة وحقيقة أمرها، فلا تسأل عن ذهبها ونشبها وبترولها ورصيدها المالي، ولكن انظر إلى شبابها، فإن رأيته شبابا متدينا متمسكا بقيمه الأصيلة منشغلا بمعالي الأمور، قابضا بأذيال الكمال وأهداب الفضائل –فاعلم أنها أمة جليلة الشأن، رفيعةُ القدر والجاه، قوية البناء، مرفوعة العلم لا ينال منها عدو، ولا يطمع فيها قوى) [23]وإنَّ الأخلاق الإسلامية هي مجموعة المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي فقط لتنظيم حياة الإنسان وتنظيم علاقته بغيره على نحوٍ يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه, وهذا يعطينا أن القيم حينئذ مع الأخلاق ذات صلة وثيقة ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ))[٢٤]. والقيم الإسلامية, هي كل ما في الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح من هديٍ في السلوك والتفكير مما أثَّروا به على أنفسهم وعلى مجتمعهم وعلى أسرهم، ونمَّوْا بهذه القيم تفاعل المجتمع مع الواقع، وتحرك المجتمع نحو الإصلاح ترقية المجتمع أيضا في مواجهة تغيرات الحياة والتفكير[25]

وإن القيم الإسلامية عُرِّفَتْ بأنها: تكوين فَرَضي لدى الفرد مُشْبَع بدرجة عالية بالقيم الخلقية الإسلامية يحدد الإطار العام للفعل السلوكي الإسلامي بما يمكن الفرد معه إدراج عناصر الموقف الاجتماعي واتخاذ القرارات الخُلُقِية في ضوء البدائل المتاحة في ذلك المجتمع على بصيرة من الآثار اللاحقة للسلوك بما يتمشى وروح الإسلام. إذن هناك اتصال ما بين القيم والأخلاق الإسلامية بمفهومها العام، لهذا بعضهم يذهب عن مفهوم القيم وعن التعريف بالقيم وعن التركيز على القيم– كما يسمى– لأجل اشتباه القيم بالعادات إلى شيء شرعي ومصطلح شرعي وهو الأخلاق، ويعبِّر عنه بالأخلاق الإسلامية، بدل القيم الإسلامية الأخلاق الإسلامية على اعتبار أن الأخلاق تشمل كل ما ذُكِر آنفا من صياغة العقل وبالتالي صياغة السلوك والعلاقة تجاه مجتمعه وعلاقاته بالآخرين[٢٦], لأن دور الشباب المسلم الذي يسير وفق تعاليم الإسلام، دور عظيم في إصلاح النفوس وتوجيه المجتمع والمحافظة على سلامته وأمنه.ولذلك يقول الشيخ محمد قطب: (والشباب قوة خطيرة إذا تجمع على هدف معين، وأخذ مأخذ الجد، ومن اجل ذلك كانت عناية الأعداء منذ وقت مبكر بتمييع هذا الشباب، وإتلافه، وإشاعة التفاهة والانحلال في كيانه، لكي لا يتجمع في يوم من الأيام على هدف معين، ويأخذه مأخذ الجد) [٢٧] وعلى هذا فإن أمة الإسلام، وهي أمة الرسالة الباقية، وذات الصدارة بين الأمم عندما أكرمها الله بهذا الدين، وببعثة سيد المرسلين محمد ﷺ، فكان للشباب فيها مكان بارز في ركب الدعوة المباركة، كما كان للشيوخ مكان الصدارة في التوجيه والمؤازرة, وانطلق الجميع بقيادة سيدنا محمد ﷺ يؤسسون دولة الإسلام الأولى والتي امتدت إلى آفاق بعيدة، ورفرفت راية الإسلام عالية فوق غالب المعمورة، في عصور الإسلام المختلفة التي كان الشباب في الطليعة يذودون عن حياض الإسلام ، ويدافعون عن ديار المسلمين باليد واللسان، علما وعملا.

المطلب الثالث: نماذج من القرآن الكريم والسنة النبوية للتربية.

يوجه القرآن الكريم أنظار الآباء والمربين إلى مبادئ تربوية سامية عليهم الحرص عليها خلال تربية أبنائهم. ويتجلَّى هذا التوجيه في عدة مواضع من القرآن الكريم منها لقمان الحكيم لابْنِهِ، ذلك لأن لقمان قد أوتي الحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ إلى قوله تعالى: وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [28], وهذه الوصايا التربوية تتضمن مجموعة من القيم التي يحرص الإسلام على تنشئة الناس عليها وفي مقدمتها النهي عن الشرك، وتحقيق التوحيد المطلق لله سبحانه، والتنبيه إلى أن الله يعلم السر وما يخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والتوجيه بضرورة رعاية الآباء والأمهات في كل ما يرضي الله وعدم إطاعتهما إذا كانت تعليماتهما تتعارض مع الدين ضرورة مراعاة الأدب معهما في كل الأحوال, وتنهي هذه الموعظة التربوية عن الكبرياء في معاملة الناس وعن الخيلاء، وضرورة الالتزام بالتواضع ومن تواضع لله رَفَعَه. وتشير كذلك إلى مجموعة من الآداب المهمة منها الاعتدال في الخطب وضرورة خفض الصوت عند الحديث وعدم التشبه بالحيوانات[29]ويوضح لنا الله سبحانه تعالى في سورة أخرى عن مجموعة من الآداب والقيم الاجتماعية التربوية التي يجب غرسها في نفوس النشء وتدريبهم سلوكيًّا عليها، مثال هذا استئذان الصغار عند دخولهم على الكبار خلال وقت الراحة, فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [30]ويتحدث لنا الله عزوجل في القرآن الكريم قصة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام مع ابنه قائلاً: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[31], ولكن نجد أن الابن أصر على العناد، فلم ييأسْ سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام, فتوجه إلى ربه العزيز الحكيم بقلب الأب العطوف اللاهف قائلًا: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ

إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿ [32] وأما ما جاء في السنة النبوية المطهرة من أحاديث بشأن التربية وخاصة الشباب, فنجد أن عليه الصلاة والسلام قد اهتم بقضية إعداد الشباب وتربيتهم في العديد من الأحاديث، منها ما يلي:

- قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: ((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)) [33].
- وقد وعد عليه الصلاة والسلام ضمن السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله, ((وشاب نشأ في عبادة الله)) [34].
- وقال أيضاً لابن عباس رضي الله عنهما: ((يا غلام، إني محدثك حديثاً: احفظ الله يَحفظْك، احفظ الله تجدْه تجَاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله)) [35].

الخاتمة

بعد هذه الجولة المباركة في هذا البحث, عسى أني قد وفقت فيه, ولكن لا بد أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها فقد أوجزتها في النقاط الآتية:

١- إن الدين الإسلامي وضع أسس لبناء الأسرة المسلمة, ومن ثم الحفاظ عليها؛ ابتداءً من أسس اختيار الزوجة الصالحة, وبعدها التأكيد على حسن العشرة بينهما، وضمان حقوق كلٍّ من الزوجين، وحقوق أبنائهما، وبهذا يظهر أن بناء الأسرة والحفاظ عليها هي من مقاصد التشريع.

٢- إننا نجد أن الإسلام شمل لكل جوانب الحياة الأسرية، من الأحكام التشريعية وغيرها وهي التي تسبب في بناء الأسرة على أركان قوية وكما انها كانت سبباً في الحفاظ عليها.

٣- إن الأسرة الصالحة هي حصانة للمجتمع من الفساد، ولأهمية ذلك الأمر, فقد وردت أحكام الأسرة في القرآن الكريم مفصَّلة بشكل لا يدع مجالاً للاجتهاد العقلي فيها.

٤- نجد بأن الشريعة الإسلامية جاءت بمجموعة كبيرة من الآداب والقيم الاجتماعية التربوية والتي يجب غرسها في نفوس الشباب وتدريبهم عليها سلوكيًا, وذلك للحافظ عليهم من الانحرافات والأفكار المحيطة بيهم.

٥- التربية الإيمانية في الأمة جزء من حياتها وسلوكها، فأمة بلا تربية ليس لها ذكر، وأمة بلا سلوك أمة مهزومة ذليلة خانعة! ولذا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الجانب، فربى جيلاً خلد ذكره التاريخ.

٦- بالتربية القرآنية ينضبط المجتمع بأكمله، فكل فرد من المجتمع يراعي حق غيره قبل حق نفسه، فيبادر إلى المساعدة، يساعد في البناء، يدعو إلى الخير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- بناء المجتمع الإسلامي: د نبيل السمالوطي, ن: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة, ط-٣- لعام ١٤١٨هـ.

٢- المسند الصحيح المختصر: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ), تح: محمد فؤاد عبد الباقي, ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣- واقعنا المعاصر: الشيخ محمد قطب بن إبراهيم, ط-١-.

٤- مجتمع الفضيلة الأخلاق في الإسلام: د. محمد منير مرسي, ن: عالم الكتب- القاهرة, ط -٢- لعام ١٩٩٨م.

٥- تربية الناشئ المسلم: د. علي عبدالحليم محمود, ن: دار الوفاء للطباعة والنشر- المنصورة, ط -٢- لعام ١٩٩٢م.

٦- التربية الإسلامية للشباب: عبد الرحمن بله علي, الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, الطبعة: ربيع الآخر – رمضان ١٤٠١ هـ.

٧- الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية: سهام مهدي جبار، إشراف: د. محمد منير سعد الدين، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٨- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ), تح: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني, ن: دار الحرمين – القاهرة.

٩- الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ), تح: محمد عبد القادر عطا, ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, ط- ٣- لعام ١٤٢٤ هـ.

١٠- الجامع المسند الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦ هـ), تح: محمد فؤاد عبد الباقي, ن: دار السلام-الرياض, ط-١- لعام ١٤١٩ هـ.

١١- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ), تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي, ن: مكتبة ابن تيمية – القاهرة, ط-٢- لعام ١٤١٥هـ.

١٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ), تح: أحمد محمد شاكر, ن: دار الحديث – القاهرة, الطبعة: الأولى، لعام ١٤١٦ هـ.

هوامش البحث

[1]الجامع المسند الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦ هـ), تح: محمد فؤاد عبد الباقي, ن: دار السلام-الرياض, ص-١- لعام ١٤١٩ هـ, كتاب النكاح- باب الأكفاء في الدين, رقم الحديث (٥٠٩٠), ١٢/ ٥٧٥.

[2] المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ), تح: طارق بن عوض الله بن محمد , عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني, ن: دار الحرمين – القاهرة, رقم الحديث (٢٣٤٢), ٣/ ٢١, وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ), ن: السعادة – بجوار محافظة مصر, لعام ١٣٩٤هـ, ٢٤٥/٥.

[3] المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ), تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي, ن: مكتبة ابن تيمية – القاهرة, ط-٢- لعام ١٤١٥هـ, باب العين- عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما, رقم الحديث (١١٤٩٤), ١١/ ٢٠٢.

[4] ينظر: بناء المجتمع الإسلامي: د نبيل السمالوطي, ص ٨٢.

[5] سورة النحل الآية: (٩٠).

[6] سورة النساء الآية: (٥٩).

[7] المسند الصحيح المختصر: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ), تح: محمد فؤاد عبد الباقي, ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت, كتاب الإمارة- باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية, رقم الحديث (١٨٣٩), ٣/ ١٤٦٣.

[8] سورة آل عمران الآية: (١٠٤).

[9] ينظر: بناء المجتمع الإسلامي: د نبيل السمالوطي, ن: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة, ط-٣- لعام ١٤١٨هـ, ص ٣٧.

[10] سورة الذاريات الآية: (٥٦).

[11] سورة الأعلى الآية: (١٤-١٧).

[12] سورة الأنبياء الآية: (٨٠).

[13] سورة آل عمران الآية: (١١٠).

[14] سورة التوبة الآية: (٣٣).

[15] سورة آل عمران الآية: (١١٤).

[16] سورة آل عمران الآية: (٥).

[17] سورة التوبة الآية: (١١٩).

[18] سورة آل عمران الآية: (٢٠٠).

[19] ينظر: علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي: فؤاد محمد موسى, ن: مكتبة زهرة المدائن
تاريخ النشر:٢٠٠٣ م, ص ٨٢.

[20] علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي: فؤاد محمد موسى, ص ٨٣.

[21] الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية: سهام مهدي جبار, ص ٢٠١-٢٠٢

[22] ينظر: التربية الإسلامية للشباب: عبد الرحمن بله علي, الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة, الطبعة: ربيع الآخر – رمضان ١٤٠١ هـ, ص ١٩٠.

[23] التربية الإسلامية للشباب: عبد الرحمن بله علي, ص ١٩٢ .

(٢٤) السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ), تح: محمد عبد القادر عطا, ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان, ط– ٣– لعام ١٤٢٤ هـ, كتاب الشهادات, باب بيان مكارم الأخلاق, رقم الحديث (٢٠٧٨٢), ٣٢٣/١٠, وقال: شمس الدين السخاوي رجاله رجال الصحيح.

[25] ينظر: مجتمع الفضيلة الأخلاق في الإسلام: د. محمد منير مرسي, ن: عالم الكتب– القاهرة, ط –٢– لعام ١٩٩٨م, ص ٥٤– ٥٥.

(٢٦) ينظر: تربية الناشئ المسلم: د. علي عبدالحليم محمود, ن: دار الوفاء للطباعة والنشر– المنصورة, ط –٢– لعام ١٩٩٢م, ص٤٧٠.

(٢٧) واقعنا المعاصر: الشيخ محمد قطب بن إبراهيم, ط–١– , ص ٣٨٦.

[28] سورة لقمان الآية: (١٣–١٩).

[29] ينظر: بناء المجتمع الإسلامي: د نبيل السمالوطي, ص ١١٩.

[30] سورة النور الآية: (٥٩).

[31] سورة هود الآية: (٤٢).

[32] سورة هود الآية: (٤٥).

[33] رواه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح, باب من لم يستطع الباءة فليصم, رقم الحديث (٥٠٦٥), ٣/٧.

[34] رواه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة, باب صدقة اليمين, رقم الحديث (١٤٢٣), ٢/ ١١١.

[35] مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ), تح: أحمد محمد شاكر, ن: دار الحديث – القاهرة, الطبعة: الأولى، لعام ١٤١٦ هـ, مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما, رقم الحديث (٢٧٦٣), ٤/ ٤٠٩.